

تعليم المسلمين في منظور المثقفين الجزائريين "سي امحمد بن رحال نموذجاً
(1856-1927م)"

**Education of Muslims from the perspective of Algerian
intellectuals « Si Muhammed bin Rahal as a model (1856-
1927) »**

د. مولود قرين¹

¹ جامعة الدكتور يحيى فارس المدية- الجزائر.

mouloudgrine@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/11/10 تاريخ القبول: 2019/11/25 تاريخ النشر: 2019/12/01

ملخص:

تهدف الدراسة إلى إبراز موقف أحد وجوه المثقفين الجزائريين سي امحمد بن رحال من قضية التعليم في الجزائر أواخر القرن 19 م ومطلع القرن 20م، وذلك لإدراك مدى انشغال النخب الجزائرية بهذه القضية المحورية، التي كانت في نظرهم الوسيلة المثلى لتحقيق النهوض بالمجتمع الجزائري. والدارس لأدبيات بن رحال ومختلف تدخلاته سيلاحظ أن قضية التعليم شغلت الحيز الكبير من اهتماماته، وأنه حاول من خلال الدعوة إلى التعليم أن يحدث توفيقاً بين الحضارتين الحضارة الغربية والعربية الإسلامية.

كلمات مفتاحية: امحمد بن رحال، النخبة الجزائرية، المثقفون، التعليم.

Abstract:

The study aims to highlight the position of one of the faces of the Algerian intellectuals, Si M'hamed bin Rahal, on the issue of education in Algeria in the late 19th and early 20th centuries, in order to realize the extent of the Algerian elites' preoccupation with this pivotal issue, which in their view was the best way to achieve the advancement of Algerian society. The student of the

literature of Ibn Rahal and his various interventions will notice that the issue of education occupied a large part of his interests, and that he tried, through the call for education, to bring about a reconciliation between the two civilizations, the Western and the Arab-Islamic civilizations.

Keywords: M'hamed Ben Rahal, the Algerian elite, the intellectuals, education.

المؤلف المرسل: مولود قرين

1. مقدمة:

حظيت مسألة تعليم المسلمين الجزائريين خلال أواخر القرن 19م ومطلع القرن 20م باهتمام كبير من طرف المثقفين الجزائريين على اختلاف توجهاتهم ومشاربهم الفكرية، فكان في نظرهم الوسيلة الوحيدة لتحقيق النهضة والرقى بالمجتمع الجزائري، لذلك ثاروا من خلال كتاباتهم على النظم التربوية البالية، وعلى الجهل الذي يتخبط فيه السواد الأعظم من الناشئة الجزائرية، وناشدوا إدارة الاحتلال من أجل نشر التعليم بين أبناء المسلمين واطاحة لهم نفس الفرص التي يتمتع بها أوروبيو الجزائر، ولعل أشهر المثقفين الذين أولو عناية بالغة بالمسألة هو المثقف "سي امحمد بن رحال"، فقد استغل كل المنابر التي أتاحت له خاصة "المفوضيات المالية"، والصحافة، والمؤتمرات الاستشرافية للمرافعة ضد السياسة التعليمية الفرنسية والدعوة إلى ضرورة تطوير تعليم المسلمين.

ففيما تتجسد مواقفه؟ وما طبيعة التعليم الذي نادى به؟ وما هي أهداف تعليم المسلمين في نظر "بن رحال"؟، أكان نتيجة لاعتقاده بأنه الوسيلة الوحيدة لتحقيق النهضة للمجتمع المسلم؟ أم أنه وسيلة لتحقيق الإدماج كما كانت تعتقد النخبة الفرنسية.

تعليم المسلمين في منظور المثقفين الجزائريين "سي امحمد بن رحال نموذجا"
(1856-1927م)

2. امحمد بن رحال تعريف مقتضب:

هو محمد بن حمزة بن أحمد بن علي ابن رحال، سجّل في الحالة المدنية الفرنسية رحال محمد بن حمزة (Agron, 1977, p. 317)، ولد في 16 ماي 1856م بندرومة . ينحدر من عائلة عريقة في العلم والأدب، كان والده "سي الحاج حمزة" مترجماً في العدالة الشرعية في تلمسان ثم تولى القضاء بن درومة سنة 1839 في عهد الأمير عبد القادر (الجلالي، 1927، صفحة 62).

أرسله والده الكتاب وهو لم يتجاوز السنة الخامسة من عمره، وبعد أن تلقى تعلّمه الأولي في اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم ، أدخله والده إلى المدرسة العربية - الفرنسية 1865، ثم انقل إلى "الكولج العربي - الفرنسي" (ثانوية الجزائر) التي تخرج منها سنة 1874. ويعتبر محمد بن رحال أول من تحصل على شهادة البكالوريا حسب بعض الشهادات (جفلول، 2013، صفحة 207). تقلد "بن رحال" خلال مشواره النضالي الحافل بالمواقف الجريئة وظائف اختلفت اختصاصاتها ما بين الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية، وكان أو منصب تقلده هو تعيينه برتبة "قايد" سنة 1874 إلى غاية 1884 (الجلالي، 1927، صفحة 62).

ثم ابتعد لفترة طويلة عن مناصب الادارة الاستعمارية مستغلا وقته في الكتابة، فكان أول جزائري كتب رواية أدبية باللغة الفرنسية، ونشر عدة دراسات في "نشرة الجمعية الجغرافية وعلم الاثار الوهرانية" التي انضم إليها سنة 1887م، وأول دراسة نشرها كانت بعنوان: "دراسات حول تطبيق التعليم العمومي في البلاد العربية". وبعد أن عزم "جول فيري" Jules ferry على إرسال لجنة تحقيق إلى الجزائر سنة 1891م، المعروفة بـ "لجنة ثمانية عشر بنداً"، استدعي "بن رحال" إلى باريس رفقة زميله الدكتور "محمد ابن العربي" لإبداء

مولود قرين

رأيهما ومناقشة البرلمان الفرنسي في الإصلاحات التي ستحملها لجنة الثمانية عشر التي ستزور الجزائر. وعند حلول اللجنة بالجزائر كان بن رحال من بين الوجوه التي استُمع إليها، فقدّم مذكرة أمام رئيس الوزراء "جول فيري"، بين فيها وجهة نظره في الكثير من القضايا خاصة القضاء والتعليم والتجنيد الإجباري (Benoist, 1892).

وفي مطلع القرن العشرين اقتحم "بن رحال" المجال السياسي، حيث عيّن سنة 1913 مستشارا عاما لدائرة "ندرومة"، وذلك بعد فوزه في انتخابات المجلس العام بوهران، وقد أعيد انتخابه في فيفري 1921 لنفس المنصب. وإلى جانب وظيفته كمستشار عام بالمجلس العام، ففي 18 أبريل 1920 ترشح لانتخابات "المجالس المالية" عن دائرة وهران وقد نجح في نيل في هذا المنصب إلى غاية انتخابات ديسمبر 1925، حيث انهزم ولم يحصل سوى على 200 صوت من أصل 12000 صوت (Agron, 1977, p. 322).

وما يلاحظ على "بن رحال" أنه استغل هذه المناصب للدفاع عن حقوق بني جلدته المسلمين، فكان في كل تدخلاته خاصة في المجلس العام بوهران والمجالس المالية يحرص على الإدارة الاستعمارية بتناقضات سياساتها المنافية لكل العهود التي قطعتها أمام الجزائريين، ومن بين أهم القضايا التي انشغل بها هي قضية التعليم

3. تربية الناشئة الجزائرية في البرنامج الإصلاحي لمحمد بن رحال:

رأت النخبة الجزائرية أن قوام الإصلاح التربوي، هو غرس التربية الصحيحة المبنية على القيم الحميدة في نفوس الناشئة الجزائرية، فالتربية الحسنة هي أساس التعلم، وهي أساس بناء الشخصية الفعّالة في المجتمع. لذلك عبرت عن استيائها من ظاهرة تشرد الأطفال، واستغلالهم في الأعمال الشاقة، لا سيما الظاهرة التي انتشرت بشكل رهيب منذ بداية القرن 20 والمتمثلة في تلميع الأحذية مقابل أجر زهيد، ومن بين الذين اهتموا بالقضية "ابن رحال" الذي عبّر عن

تعليم المسلمين في منظور المثقفين الجزائريين "سي امحمد بن رحال نموذجا"
(1856-1927م)

استيائه العميق من هذه الظاهرة المتزايدة بشكل رهيب، ودعا إلى التكفل بهؤلاء الأطفال وتربيتهم، وعلى المدرسة الفرنسية أو المدارس القرآنية تقع مسؤولية اجتثاثهم من هذا الوسط الذي يؤول بهم إلى غياهب السجون، ويقول في ذلك: "... أيها السادة فهل أنتم غير آسفين عندما ترون في الأمكنة العامة وفي طرقات المدن والقرى، وفي محطة السكك الحديدية جماعات تعيسة من أطفال الأهالي قذرة، رثة الثياب، بذيئة وفاسقة، يأتون لإزعاجكم بتقديم خدماتهم أو توسل صدقاتكم؟ هؤلاء الأطفال، أيها السادة، هم زبائن السجون مستقبلاً، أولئك الذين لا يستطيع أن يأخذهم في دائرة عملهم، لا مدرس المدرسة الفرنسية ولا الطالب العربي، ولا يطولنهم بتعليمهم..." (الإقدام، 18 نوفمبر 1921).

الملاحظ على أن بن رحال من خلال هذا الخطاب كان يهدف إلى معالجة ظاهرة التشرذ انطلاقاً من تحميل المسؤولية لكل من الحكومة الفرنسية التي لم تتكفل بهؤلاء الأطفال، وكذلك المجتمع عامة والوالدين على وجه التحديد الذين لم يرسلوا أبنائهم لا للمدرسة الفرنسية ولا للمدارس القرآنية، وهذا ما نلمسه لدى الكثير من المثقفين الجزائريين سواء المفرنسين أو المعربين. فمن بين المفرنسين الذين اهتموا بالقضية نجد الأستاذ "صوالح" الذي ربطها بالوضعية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، إذ يرى أن هؤلاء المتشردين أغلبيهم يتامى منحدرين من أمهات أرامل أو مطلقات، وبما أن أمهاتهم لم يتعلمن أي حرفة واضطرتهم التقاليد إلى البقاء في الأكواخ دون أي مدد من أجل العيش، فإنهم يعتمدون على عمل أطفالهم في الشوارع، أين يتعلمون كل الآفات الاجتماعية، ومن هنا يتكون اللصوص والمجرمون الذين يكون مصيرهم السجن (عمري، 2003-2004، صفحة 404).

أما النخبة الإصلاحية المعربة ذهبت أبعد من ذلك في اهتماماتها التربوية، فأسست بما طرحته من أفكار لمنهج تربوي قائم على أساس غرس القيم والأخلاق

مولود قرين

الإسلامية في نفوس الناشئة الإسلامية، فهي الكفيلة بمنعهم من الوقوع في الرذيلة الأخلاقية والانحراف، والأسرة هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن ذلك، وهذا ما نلمسه في شكل واضح عند "المجاوي" الذي دعا الأولياء إلى الامام بالأساليب القويمة للتربية ومتابعة أبنائهم وغرس الفضيلة الأخلاقية فيهم من أجل تكوين جيل صالح إلى معترك الحياة، مثلما كان سلفهم الذين "الذين استجمعوا مزايا التربية وشبّوا عليها، فنشأوا رجالاً لهم اليد الطولى مدنية وفخارا وإكمالا واقتدارا، حتى عدوا منبعا من منابع العرفان ومثالا من الصنائع والفنون". فالفرق بين هذا الجيل وجيل الأسلاف يكمن في اهتمامهم بالتربية التي "جعلت طينتهم معجونة بماء النشاط وطينتنا مسقاة بماء الكسل وحب التقاعد وسبحان من لا يسأل عما يفعل" (المجاوي، 3 جانفي 1908).

4. أهمية التعليم وأهدافه في نظرين رجال:

ارتكزت السياسة الثقافية الفرنسية على سياسة التجهيل والقضاء على المؤسسات الثقافية الإسلامية في الجزائر، وحاولت أن تعوضها بتعليم فرسي تغريبي حتى تسهل عملية دمج المجتمع الجزائري في بوتقة الحضارة الفرنسية، غير أن جل محاولاتها نحو ارساء تعليم فرنسي في الجزائر باءت بالفشل أمام معارضة الكلون من جهة، ورفض الجزائريين للتعليم الفرنسي من جهة أخرى فكانوا يعتبرونه ذو طابع تنصيري، وأن المسلم سيرتد عن دينه في المدارس الفرنسية، لذلك ظلوا متمسكين حسب ما ذكره "لويس رين" بتعلم اللغة العربية والتعاليم الدينية المستوحاة من القرآن (Rinn, 1882, p. 13).

ولكن في بدايات الثمانينات من القرن التاسع عشر، انتعشت الحركة التعليمية في الجزائر نوعاً ما، وذلك لأن الأهالي الجزائريين خاصة المنحدرين من الأسر الكبيرة حاولوا الحفاظ على نفوذ الأسرة من خلال المدرسة، واقتنعوا أنه لا حرج في ارتياد المدرسة الفرنسية، مادامت تعلّم اللغة الفرنسية "لغة المصالح

تعليم المسلمين في منظور المثقفين الجزائريين "سي امحمد بن رحال نموذجاً
(1856-1927م)"

الدينيوية"، حسب ما ذكرته الباحثة "إفان توران" (Y. Turin, TURIN, 1983, p. 114)، لا يؤثر في عقيدة المتدريس الذي اكتسب اللغة العربية "لغة الدين" في الأسرة، إضافة إلى أن الأهالي المسلمين بدأوا يميزون بين التعليم العلمي والتعليم المسيحي للمبشرين، وبدأوا يقتنعون تدريجياً بأن مجتمعهم غير منسجم مع تطورات العصر الحديث، والطريق الذي يساعدهم في ولوج حضارة العصر هو التعليم، فالتحول الحاصل في قناعات المسلمين بالتعليم في بداية ثمانينات القرن التاسع عشر تزامن مع التغيير الجذري الذي مسّ المنظومة التربوية في فرنسا، والذي ارتبط أساساً باسم الوزير "جول فيري" صاحب مشروع لائكية ومجانية وإجبارية التعليم.

لقد امتدت ضلال المشروع إلى الجزائر بموجب مرسوم 13 فيفري 1883م، الذي أعطى لتعليم الأهالي نفساً جديداً وانطلاقة نحو الأمام حسب ما أورده "علي مراد" (MERAD, 1963, p. 603)، حيث كان هذا المرسوم البداية الأولى للإدارة الفرنسية لإقامة نظام مدرسي مقنن موجه للجزائريين، غير أن وجهته كانت اندماجية بالدرجة الأولى (الواعر، 2002-2003، صفحة 178)، لذلك رحبت به النخبة المفرنسة الاندماجية لأنها كانت تعتقد أن التعليم التغريبي هو شرط أساسي لتحقيق التقارب بين المسلمين والاوروبيين و شرط ولوج المسلمين في الحداثة الغربية، فقد اعتبره أستاذ ثانوية قسنطينة "محجوب بن خلفات" مسألة خطيرة تشغل بال أغلب الجزائريين، وعليها يتوقف المصير النهائي للمستعمرة، لذلك "فمن واجب الجمهورية إذن تحسين الجنس المغلوب ثقافياً وأخلاقياً (سماتي، 2013، صفحة 179).

غير أن مزدوجي الثقافة من المثقفين الجزائريين فقد كانوا يعتقدون أن نشر التعليم بين المسلمين يؤدي إلى نهضتهم ويجعلهم في مستوى يؤهلهم للتعاون

مولود قرين

ومشاركة الأوروبيين في الجزائر، وطبيعة التعليم الذي يحقق ذلك الهدف هو التعليم الذي يراعي مصلحة الطرفين الأوروبيين من جهة، والمسلمين من جهة أخرى، لذلك تمحور نقاش هذا الاتجاه من النخبة حول نقد السياسة التعليمية لفرنسا الهادفة إلى الإدماج، ودعوا إلى إيجاد صيغ تربوية كفيلة لتحقيق التوافق بين التعليمين.

ومن أشهر من آمن بهذه الفكرة وظل يدافع عنها طيلة مشواره النضالي سي "محمد بن رحال" الذي انتقد بشدة السياسة التعليمية الفرنسية، ورأى بأنها تهدف إلى إدماج الشعب الجزائري والقضاء على شخصيته الوطنية، لذلك ظل يحاضر ويرافع من أجل اقتراح حلول للرقى بالمستوى التعليمي للمسلمين بما لا يتعارض مع مقوماتهم الشخصية، بل ما يساهم في بعث أمجادهم الحضارية التي تجعلهم يقفون الند للند مع الأوروبيين.

يعود اهتمام "ابن رحال" بالمسألة إلى سنة 1887م في دراسته الموسومة ب: "دراسة حول تطبيق التعليم العام في البلاد العربية" التي نشرها في الجمعية الجغرافية والأثرية لولاية وهران، كما أشرنا آنفاً، ويذكر "عبد القادر جغلول" أن هذه الدراسة جاءت كرد فعل ضد مرسوم جول "فيري" سنة 1883م الذي يهدف إلى القضاء على المقومات الثقافية للمسلمين (اللغة والدين) (Djehglou, 1989, p. 10).

وبالإطلاع على نص محاضراته نجده قد ثَمَّن خطوة "فيري" في سبيل تعميم التعليم العمومي، واعتبرها خطوة إيجابية نحو تمدين المجتمع الجزائري، ولكن بشرط ألا يتعارض ذلك التعليم ودينهم، ولا يكون على حساب اللغة العربية، وأن يتساوى الطلبة المسلمون والأوروبيون بعد تخرجهم في فرص التوظيف والترقية، ففي الوقت الحالي يقول "بن رحال": "... يستطيع الجزائري تقبل التعليم، ما عدا بعض الاستثناءات النادرة، نظراً لبساطتها تراه فحاشاً منصوبة لسلب وطنيتها

تعليم المسلمين في منظور المثقفين الجزائريين "سي امحمد بن رحال نموذجاً
(1856-1927م)"

ودينها...". كما اقترح ضرورة إيجاد نظام يتكفل بجمع مصاريف تعليم الجزائريين، ويتم ذلك بإنشاء المدارس قرب السكان حتى يتمكنوا من مراقبة أبنائهم، وأن يكون التعليم مجانياً ولو كان تحت خيمة (المدرسة قربي كما أصبحت تعرف فيما بعد)، وختم مداخلته بالقول: "بأن مسألة التعليم تعتبر رأس مال الجزائر، حتى وإن كانت بمخيمات لأنها تكوّن جيلاً مثقفاً" (Ben Rahal, 1887, p. 118).

وهذا ما أكدّه كذلك أمام "لجنة فيري" سنة 1891م، عندما قال: "... فيما يخصّ التعليم نريد مدرسة ابتدائية في كل قرية، وتحت ظل كل نخلة، لكن للأسف لم يفكر مثلنا كل زملائنا ولهذا فإننا نتمنى إنشاء لجنة لرعاية المدارس في كل بلدة، على أن يشكل الأهالي أغلبية أعضائها..." (الواعر p. 2003-2002, 200).

5. الدعوة إلى تنظيم التعليم العالي وإنشاء جامعة جزائرية:

عند قدوم لجنة التحقيق إلى الجزائر سنة 1892م، كان "بن رحال" من بين الذين استجوبتهم اللجنة حول عدة قضايا تخص المسلمين، من بينها قضية التعليم، لذلك استغل الفرصة و قدم لها مشروعاً حول "إعادة تنظيم التعليم العالي في الجزائر" عبّر من خلاله عن استيائه العميق من تدهور التعليم العربي والإسلامي في الجزائر الذي بقي منحصراً حسب ما ذكره إلا في بعض الزوايا والكتاتيب، أو في المدارس الشرعية الثلاثة (تلمسان، الجزائر، قسنطينة)، هذا ما أدى بالمسلمين إلى النفور منه، حيث قال: "... لا شيء منظم في التعليم الإسلامي رغم أنه يتضمن ويؤكد على شيئين هاميين هما: القضاء والعبادات ... هذا الأمر جعل الأهالي يعتقدون أن فرنسا تريد طمس ومحو معتقداتهم، وربما إبدالها وتعويضها بمعتقدات وفكر آخر ...". هذا ما أدى في نظر "ابن رحال" بالطلبة المسلمين إلى الهجرة والالتحاق بالحواضر العلمية في فاس أو بالزيتونة أو الأزهر

مولود قرين

فيكون لهم تكويناً علمياً راقياً أفضل من زملائهم المتخرجين من المدارس الشرعية الذين يجدون أنفسهم "غير قادرين على منافستهم، وغير قادرين أيضاً على دعم الموقف الفرنسي"، وبذلك يضيف "ابن رحال" قائلاً: "... خسرتنا كل نفوذ، بينما طلابنا كانوا عرضة للسخرية، فمظفونا أنفسهم القضاة وكتبة العدل، والحكام والأئمة المفتون لا يصغون إليهم ونعتوهم دائماً بالجهل...". لذلك رأى "ابن رحال" أنه من الضروري جداً إعادة تنظيم المدارس الشرعية، وذلك بمضاعفة عدد طلبتها، والاعتماد على أساتذة أكفاء يختارون من بين العلماء المسلمين أو من الأساتذة الفرنسيين ذوي الخبرة الطويلة، وإجراء امتحانات صارمة خاصة بعد التخرج لكي تكون شهادتها معادلة لشهادة البكالوريا، كما اقترح تأسيس جامعة إسلامية في الجزائر لاحتضان طلبة المدارس المتفوقين، حيث قال: "... إن ما نقترحه هو إحداث وإعادة التنظيم لتكوين طلابنا في جامعة إسلامية في مدينة الجزائر، وهذا ما يسمح لهم بالدخول في وسط زملائهم في الدين، وأن يتمتعوا بنفوذ فريد ناتج كلياً من فرنسا..." (Djehglou A. , 1986, p. 56).

ويمكن تلخيص مشروع بن رحال حول تنظيم التعليم العالي في ثماني

نقاط، هي:

1- إعادة تنظيم كامل للمدارس الإسلامية الثلاث في الجزائر العاصمة وتلمسان وقسنطينة.

2- تحديد مدة الدراسة بثلاث سنوات.

3- جعل عدد التلاميذ ضعفين أو ثلاث أضعاف.

4- زيادة عدد المدرّسين، واختيارهم من أكثر العلماء بروزاً، والذين يتمتعون بسيادة كبيرة وأخذهم من الخارج إذا اقتضى الأمر.

5- تعيين معلمين فرنسيين ذوي خبرة يتكلمون ويكتبون العربية لتعليم الفرنسية والعلوم الإبتدائية.

تعليم المسلمين في منظور المثقفين الجزائريين "سي امحمد بن رحال نموذجاً
(1856-1927م)"

- 6- في نهاية السنة الثالثة، اجراء امتحان الانتقال إلى المدرسة الإسلامية في الجزائر العاصمة، حيث يكمل الطلبة دراستهم ويتابعون خلال سنتين بعض المحاضرات في المدارس العليا للأداب والعلوم بما فيها المحاضرات الأولية للحقوق والفرنسية.
- 7- عند انتهاء السنة الخامسة، اجراء امتحان حول البرنامج المعطى، يخصص جزء كبير منه للعلوم الإسلامية ويكون صعباً للغاية في هذه الناحية. وبالنسبة للبرنامج الفرنسي فإننا نضع المواد التي نعتبرها ملائمة.
- 8- وإن تحقق هذا الامتحان يكون بشهادة معادلة للباكالوريا، بحيث تفتح كل المجالات أمام الشباب الذين يقدمون ضمانات علمية لا ريب فيها.
- رغم انصات اللجنة بجدية لمقترحات "بن رحال" وغيره من المثقفين، إلا أنه بمجرد انصرافها ضربت كل المقترحات عرض الحائط، وظل التعليم في المدارس الشرعية يراوح مكانه، وبقيت تحت رقابة شديدة للإدارة شأنها شأن بقية المراكز الثقافية الإسلامية الممولة رسمياً (بن عدة، 2005، صفحة 161).
- وتشير الباحثة " صابرينة الواعر" أنه رغم إقدام الإدارة الفرنسية على تأسيس جامعة الجزائر سنة 1909م كأول جامعة عصرية في العالم العربي، إلا أنها لم ترق لطموح "بن رحال"، فهو "قد اقترح جامعة إسلامية حديثة تمد الطلاب بفروع العلوم الدينية المختلفة، إلى جانب العلوم الحديثة، وعلى رأسها الفرنسية بشرط ألا تكون علمانية، لكي لا تضع العلوم الدينية جانبا. فمحمد بن رحال أراد الرفع من القيمة العلمية الدينية للأهالي، لكن في إطار الدولة الفرنسية، بأن يصير هؤلاء الطلبة موظفون وإطارات تحت إدارتها" (الواعر، 2002-2003، صفحة 203).

6. دفاعه عن تعليم اللغة العربية والتعليم القرآني:

إلى جانب اهتمامات برحال بالتعليم العصري باعتباره وسيلة تسمح للمسلم أن يكون ندا للمستوطن، فإنه لم يهمل تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم باعتبارهما مكون رئيسي في بناء الشخصية الوطنية الإسلامية، لا سيما وأن الإدارة الاستعمارية كانت تسعى جاهدة للقضاء على اللغة العربية ومحاولة تكريس اللغة الدارجة في التعليم كبديل للعربية الفصحى، وكذا القضاء على تعليم القرآن من خلال منع أو مراقبة التدريس في الكتابات بموجب مجموعة من القرارات أهمها قرار 1892م.

هذا ما استاء منه سي "محمد بن رحال" الذي ظلّ يدافع عن العناصر الجهورية للأمة الجزائرية من خلال المجالس الانتخابية المختلفة، خاصة اللغة العربية التي أكد على ضرورة الاهتمام بها وإعطائها المكانة اللائقة بها إلى جانب اللغة الفرنسية. وهذا ما نلمسه بشكل جلي في تدخله أمام المجلس المالي في 18 ماي 1921 حيث طالب بضرورة تدريس اللغة العربية بكل مدارس القطر على مستوى التعليم العام أو على مستوى التعليم المهني، وذلك بتخصيص ساعات إضافية للتدريس باللغة العربية (Ben Rahall, 1921).

وذلك لأنه لا يعقل أن تكون أمة بدون لغة، وقد وجد تدخل "ابن رحال" صدى واسعاً في صفوف المسلمين فنشرت تدخله عدة صحف عربية وفرنسية اللغة (الإقدام ج.، 18 نوفمبر 1921م)، كما أثار غضب الكولون الذين خرجوا من المجلس المالي تعبيراً عن رفضهم لتدخل "ابن رحال" الذي اعتبروه "ذو وجهة دينية تعصبية، لا علاقة له بأعمال اللجان المالية" (الواعر، 2002-2003، صفحة 206).

غير أن استياء غلاة المعمرين لم يثن "ابن رحال" عن نضاله من أجل اللغة العربية والتعليم القرآني، ففي مقال نشره في جريدة "صدى الجزائر" (L'écho

تعليم المسلمين في منظور المثقفين الجزائريين "سي امحمد بن رحال نموذجا"
(1856-1927م)

(d'Alger) سنة 1921م، طالب بضرورة تعليم القرآن للأهلي المسلمين في القرى والمداشر، "لأن هذا القرآن في غاية الإفادة لهذيب الأخلاق، ومن تعاليمه أنه يحترم الأبوة والشيخوخة" (Ben Rahal, Apprenez le coran aux Indigènes, 18 - 01- 1921.)

الظاهر أن الدعوة إلى الاهتمام باللغة العربية، وضرورة التمسك بالتعليم القرآني لما له من أهمية في بناء شخصية المسلم الدينية سيمة ميزت خطاب أقطاب أغلب مزدوجي الثقافة، فإلى جانب "ابن رحال" نجد "ابن شنب" الذي أولى عناية كبيرة باللغة العربية من خلال الدروس والمحاضرات التي كان يلقيها أمام طلبته، أو من خلال بحوثه وتحقيقاته التي كان يختارها بعناية فائقة لما لها من أهمية تربوية كبيرة، لعل أهمها ترجمته إلى اللغة الفرنسية رسالة للإمام "الغزالي" في تربية الأولاد، وملاحظات في التعليم الإسلامي لمؤلف مجهول نشرت بالمجلة الإفريقية سنة 1897م والتي يبدو أنه حاول من خلالها لفت أنظار الأوربيين وكذلك بعض المفرنسين إلى اهتمام المسلمين بالتعليم، ومنهجيتهم القائمة على غرس التعليم القرآني وبثه بين الناشئة (Ben Rahal M. B., 2006, pp. 20- 21).

فالمتمعن في كتابات "ابن رحال" ومطالبه المتعلقة بالتعليم يجدها تصب في اتجاه البحث عن إحداث تكامل وتعاون بين الحضارتين الغربية والإسلامية، وهذا ما عبّر عنه صراحة في محاضرة له سنة 1897م بعنوان "مستقبل الإسلام" التي أكد فيها أن المسلم مؤهل - عكس ما يقال عنه- لاستيعاب منجزات الحضارة الغربية المادية وعلومها الدقيقة، غير أنّ هذا لا يعني في نفس الوقت أن يتخلى عن إيمانه وثقافته. وعلى المسلمين كذلك أن يتخلوا عن نظرتهم السلبية إزاء كل ما هو فرنسي، خاصة التعليم الذي يغرس، حسبه، قيم سامية تساعد المسلمين على الفهم الجيد للدين الإسلامي، كما يمكّنهم في نفس الوقت من اتخاذه كوسيلة

للمطالبة بحقوقهم والتصدي لقمع الإدارة الاستعمارية (عمري، 2003-2004،
صفحة 145).

وقد كان "ابن رحال" لا يتوانى في تنفيذ طروحات المستشرقين الأوروبيين التي اتهمت الإسلام بالجمود وعدم قدرته على استيعاب العصرنة ومواكبة الحداثة الغربية، فللإسلام في نظره قيم باطنية (جوهرية)، وأخرى مادية تنظم جميع أمور الإنسان الدنيوية، وهذا ما أهله لكي يكون صالحاً لكل زمان ومكان. فقد مثل الإسلام والمسلمون "قروناً من المجد والضياء وهذا لم تبلغه أي ديانة أو أي حضارة أخرى .. لقد كانت الحضارة الإسلامية حضارة خارقة مازالت آثارها جاسمة إلى يومنا هذا..." (Ben Rahal M. B., 2006, p. 30). يرى "ابن رحال" أن ما يميز الإسلام عن غيره من الديانات هو أنه دين جامع ومكمل لكل الديانات السماوية "إن عبادتنا مجددة لعقيدة إبراهيم ومكملة لعقائد موسى وعيسى". كما أن الإسلام دين الوسطية، فهو دين "شامل، عالي وبسيط، على مقاس الإنسان يتناسب مع قدراته، وفي ذات الوقت وازن بين الروح والعقل وجعلهما مرتبطين ارتباطاً تاماً، مثلما جعل توازنا بين القسوة والعفو، والرحمة والعدل، والحق والواجب" (Ben Rahal M. B., 2006, p. 31).

تعليم المسلمين في منظور المثقفين الجزائريين "سي امحمد بن رحال نموذجاً
(1856-1927م)"

7. الخاتمة:

مما تقدم يمكن أن نستنتج بأن سي امحمد بن رحال رغم أنه لم يكن موظفاً في سلك التعليم الرسمي أو الحر إلا أنه أولى عناية قصوة بمسألة التعليم لإدراكه العميق بأن الشعب المتعلم لا يستعبد وبأنه الوسيلة الوحيدة التي تمكن المسلم من تحقيق النهضة وتمكنه بالمطالبة بحقوقه المختلفة، فكان يستغل كل الوسائل والمنابر للمطالبة بتحسين التعليم الموجه لمسلمي الجزائر خاصة الصحافة والمجالس النيابية، فكثيراً ما كانت تدخلاته الجريئة تستفز غلاة المستوطنين الذين كثيراً ما كانوا يتهمونهم بالتعصب.

أما عن طبيعة التعليم الذي نادى به "بن رحال" فهو تعليم توفيقى إن صحّ التعبير، فكان يحث على المزاوجة بين التعليم الفرنسي العصري لأنه يساعد المسلم في فهم ثقافة العصر وعلومه، والتعليم العربي الإسلامي الذي يجعل المسلم محافظاً على شخصيته وثقافته التي تميزه عن الغرب. ويبدو أن مطالبة برحال بضرورة الاهتمام باللغة العربية وضرورة تعليم القرآن وتحفيظه للناشئة كانت سبباً في وقوف الإدارة الفرنسية ضده في انتخابات 1925م.

- Ageron (ch-R), Si M'Hmed ben Rahal une conscience inquiete dans une Algérie en Mutation. *les Africains*,T08. 177.
- Ben Rahal, M. (18 - 01- 1921.). Apprenez le coran aux Indigènes. *L' écho d' Alger*.
- Ben Rahal, M. (1887, avril -juuin). L' Application de L' Instruction Publique en Pays Arabe. *B.S.G.A.O*, N 33, p. 118.
- Ben Rahal, M. B. (2006). *L' avenir de L' Islam et autres textes*. Alger: ANEP.
- Ben Rahall, M. (1921, Mai 18). (D.F.A, Intervieweur)
- Benoist, C. (1892). *Enquête Algérienne 1892*. Paris.
- Djeghlou, A. (1986). *huit études sur l'Algérie*. Alger: Entreprise Nationale du Livre.
- Djeghlou, A. (1989). Si M' Hamed Ben Rahal et La Question De L' Instruction Des Algériens : 3 Documents (1887-1892-1921), In : Histoire Sociale de L'Algérie : Etudes, Source et Documents. Dans *Abdelkader Djeghlou* (p. 10). Oran: Université D' Oran.
- MERAD, A. (1963, juin-juillet). Regard sur l'enseignement des musulmans en Algérie . *Revue Confluen*,N° 32-33, p. p 603.
- Rinn, L. (1882). *Note sur l'instruction publique musulmane en Algéri*. Alger: Fontana et Compagnie.
- TURIN, Y. (1983). *affrontements culturels dans l'Algérie coloniale*. Alger: E.N.A.P.

الإقدام، 18 نوفمبر 1921

الجلالي، محمد عابد. (1927). *تقويم الأخلاق*. قسنطينة، الجزائر: المطبعة الجزائرية الإسلامية.

المجاوي، ع. ا. 3). (جانفي. 1908) التربية. كوكب إفريقيا.

تعليم المسلمين في منظور المثقفين الجزائريين "سي امحمد بن رحال نموذجاً
(1856-1927م)"

- الواعر, ص. (2003 -2002). محمد بن رحال و دوره السياسي و الثقافي
1856-1928م. قسنطينة: جامعة الأمير.
بن عدة, ع. (جوان 2005) المثقف الثائري امحمد بن رحال. 1857- 1927.
حولية المؤرخ, ع05, ص. 161.
جفلول, ع. ا. (2013). تاريخ الجزائر والمغرب العربي. الجزائر.
سماتي, م. (2013). الجزائر الفتاة, مراسلات وتقارير 1837-1918م ثالة, الجزائر
2013م. الجزائر: ثالة.
عمري, ا. (2004- 2003). النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع -1900
-1940 قسنطينة, جامعة الأمير للعلوم الإسلامية, قسنطينة الجزائر.